شرح رياض الصالحين باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم

الحديث السابع

(عن أَبِي حُمَيْد عبْدِ الرَّحْمن بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللَّه عنه قال: اسْتعْملَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم رَجُلاً مِن الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قال: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم على الْمِنبرِ، فَحمِدَ اللَّه وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: «أَمَّا بعْدُ فَإِنِّي أَسْتعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ على الْعمَلِ مِمَّا ولاَّنِي اللَّه، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَت إِلَيَّ، أَفَلا جلس في بيتِ أَبيهِ أَوْ أُمِّهِ حتَّى تأْتِيَهُ إِنْ كَانَ صادقاً، واللَّه لا يأْخُذُ أَحدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيْرِ حقِّهِ إِلاَّ لَقِيَ اللَّه تَعالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَلا أَعْرِفَنَّ أَحداً مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّه يَحْمِلُ بعِيراً لَهُ رغَاءٌ، أَوْ بَقرة لَهَا خُوارٌ، أَوْ شاةً تيْعَرُ، ثُمَّ رفَعَ يَديْهِ حتَّى رُؤِيَ عُفرةُ إِبْطَيْهِ، فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» ثلاثاً) متفقٌ عليه .

الدلالة الظاهرة من الحديث معلومة وأحكامها مفهومة، لكن لاحظوا في هذا الحديث أن الحبيب صلى الله عليه وسلم يضعنا أمام بعض الألفاظ التي يتنبه إليها من نبهه الله، منها قوله صلى الله عليه وسلم : (أَسْتعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ على الْعمَلِ مِمَّا ولاَّنِي اللَّه).

فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أنه تولى شيئاً إلا والحق تبارك وتعالى ولاه إياه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠].

فلا يدخل إلى شيء من الأشياء إلا بالله، ولا يخرج من شيء إلا بالله، فإذا دخل إلى شيء من الأشياء بالله أُعِينَ،وإذا دخل إلى شيء من الأشياء بنفسه وكل إلى نفسه.

وهذه حقيقة يعرفها أهل السير إلى الله تبارك وتعالى، فهم يعيشون في مشهد: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا أقامهم الحق سبحانه وتعالى في مَقام ووقفوا في المُقام، عند ذلك لا يخرجون حتى يخرجهم الحق تبارك وتعالى.

إذاً سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ولي أمرهم جميعاً، كان يقول: (ولاَّنِي اللَّه). فما تولى بنفسه صلى الله عليه وسلم شيئاً.

وبعد ذلك نلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم يقول: (أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ).

إذاً لا يكون أحد ممن قلبه موصول برسول الله صلى الله عليه وسلم مقدماً نفسه للاستعمال حتى يقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحينما يقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإنه عند ذلك يكون آمناً من الفتنة، محفوظاً ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من لطائف ما حصل معي أنه اتصل بي أحد المدراء الكبار، وقال لي: أريد أن أحكي لك مناماً، قلت: بسم الله.

قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا، وأنا في حالة من الضجر مما أنا فيه من مصاعب الإدارة.

قال: أيام طويلة وأنا أعيش هذه الحالة وأقول أريد أن أخرج من هذه الإدارة، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا، فشكوت إليه، فقال لي صلى الله عليه وسلم: **أما رأيت كيف أرسلت عمر بن الخطاب واستعملته؟**

سبحان الله، إذاً عمر رضي الله عنه كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى سيدنا أبو بكر، ولما توفي سيدنا أبو بكر جاء سيدنا عمر.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: أنا الذي عينته، أنا عينت عمر.

إذاً من هنا نفهم لماذا قال صلى الله عليه وسلم: (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**).

إذاً هذا اتصال الوصال، الموصول من أدخله سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال لي: بعد أن استيقظت، قلت: طالما الأمر هكذا، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعين ويُسَرِّح، إذًا انتهت القضية.

وبعد ذلك نلاحظ هذا الملحظ الخفي في الحديث عندما يقول صلى الله عليه وسلم: (أَفَلا جلس في بيتِ أَبيهِ أَوْ أُمِّهِ حتَّى تأْتِيَهُ إِنْ كَانَ صادقاً)

هذه العبارة على محملها الظاهر ربما يفهمها بعضهم أنها لن تأتيه، ولكن إذا نظر إلى هذه العبارة بإمعان يجد أن هديته تأتيه لو أنه يكون صادقاً، لأن الرزق مقسوم من الله تبارك

وتعالى، لكن عندما نخرج ونبتغي الرزق، فهذا امتثال منّا للأمر، لا لأن الأسباب مؤثرة، وهذا هو مقام التجريد ومقام التوكل على الله تبارك وتعالى الذي عاش فيه كثير من الرجال وهم يتوكلون على الله تعالى ظاهراً وباطناً، لا يكون هذا لمن للأسباب في قلبه بقية.

الذي يكون للأسباب في قلبه بقية ممنوع من هذا الحال.

ثم الناس بعد أن تخرج الأسباب من قلوبهم نوعان:

نوع أظهر الحق ولايتهم ثم هم بعد ذلك لا يتعاطون الأسباب إنما يستغرقون في مسبب الأسباب وهو يعطيهم.

ونوع آخر قد يكون أعلى منه، وهو الذي ستره الحق بالأسباب، فهو قد خرجت الأسباب من قلبه لكنه مستور بالأسباب لا يرى الأسباب إنما يشهد أن الحق تبارك وتعالى هو المتجلي في كل حركة وسكنة.

وعلى هذا فالناس على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عشعشت الأسباب في قلوبهم، هؤلاء مساكين يحتاجون إلى تفريغ القلب من الأغيار، فرغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعاني والأسرار.

وبعد ذلك حينما تخرج الأسباب من القلوب، فالناس نوعان: أهل الولاية نوعان:

النوع الأول: قد خرجوا ظاهراً وباطناً عن الأسباب فهم مكشوفون، ليس عليهم ستر، هؤلاء في بلاء عظيم لأن الحق تبارك وتعالى أظهر فيهم قدرته، فهم أصحاب حال ظاهر.

النوع الثاني: أخفاهم الحق، وهم عرائس الحضرة، وقد قالوا: لا تظهر العروس إلا لأهلها، هؤلاء عرائس الحضرة الذين سترهم الحق بالأسباب، وهم لا يشهدون إلا مسبب الأسباب.

اللهم أخرج الأشياء من قلوبنا، ولا توجه قلوبنا إلا إليك.